بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدّمَةُ

إنّ الحمدَ للّهِ نَحمَدُهُ وَنَستَعينُهُ وَنَستَغفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللّهِ مِن شُرُورِ أنفُسِنَا وَمِن سَيِّئَاتِ أعمَالِنَا، مَن يَهدِهِ اللّهُ فَلَا مُضِلّ لَهُ، وَمَن يُضلِل فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأشهَدُ أن لَا إلَهَ إلّا اللّهُ، وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأشهَدُ أنّ مُحَمّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ.

أمّا بَعدُ: فَإنّ خَيرَ الكَلَامِ كَلَامُ اللّهِ، وَخَيرَ الهَدي هَديُ مُحَمّدٍ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم، وَشَرّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا؛ وَكُلّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وَكُلّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلّ ضَلَالَةٍ فِي النّارِ.

إنّ العَينَ لَتَدمَعُ، وَإنّ القَلبَ لَيَحزَنُ، عَلَى قِلّةِ الحَيَاءِ بَينَ العِبَادِ، فِي أنحَاءِ البِلَادِ.

الحَيَاءُ خُلُقٌ رَفِيعٌ يَمنَعُ الإنسَانَ عَنِ اللاتّصَافِ بِالأخلَاقِ السّيّئَةِ، وَالأقوَالِ وَالأفعَالِ القَبِيحَةِ.

الحَيَاءُ هُوَ أسَاسُ مَكَارِمِ الأخلَاقِ، وَمَنبَعُ كُلّ فَضِيلَةٍ؛ لِأنّهُ يَترَتّبُ عَلَيهِ القَولُ الطّيّبُ، وَالفِعلُ الحَسَنُ.

الحَيَاءُ دَلِيلُ الدّينِ الصّحِيحِ، وَسِمَةُ الصّلَاحِ الشّامِلِ، وَعُنوَانُ الفَلَاحِ الكَامِلِ.

يَأتِي الحَدِيثُ عَنِ الدّرّةِ النّفِيسَةِ »الحَيَاءِ«، فِي وَقتٍ تُنحَرُ فِيهِ الفَضِيلَةُ، وَتُذبَحُ فِيهِ الأخلَاقُ مِنَ الوَرِيدِ إلَى الوَرِيدِ، عَبرَ أجهِزَةِ الفَسَادِ السّمعِيّةِ مِنهَا وَالبَصَرِيّةِ، الّتِي تَنسِفُ الحَيَاءَ نَسفًا، وَتُدَمّرُهُ تَدمِيرًا، فَلَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ.

الرّاجِي عَفوَ رَبّهِ

عَبدُ الهَادِي بن حَسَن وَهبِي

تَعرِيفُ الحَيَاءِ

• الحَيَاءُ شَرعًا: خُلُقٌ يَكُفّ العَبدَ عَنِ ارتِكَابِ القَبَائِحِ وَالرّذَائِلِ، وَيَحُثّهُ عَلَى فِعلِ الجَمِيلِ، وَيَمنَعُهُ مِنَ التّقصِيرِ فِي حَقّ صَاحِبِ الحَقّ، وَهُوَ مِن أعلَى مَوَاهِبِ اللّهِ لِلعَبدِ.

فَضَائِلُ الحَيَاءِ

أوّلًا: الحَيَاءُ مِفتَاحُ كُلّ خَيرٍ:

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللّهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم: »الحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ« قَالَ: أوْ قَالَ: »الحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ« .

وَهُوَ أصلُ كُلّ خَيرٍ، وَذَهَابُهُ ذَهَابُ الخَيرِ أجمَعِهِ .

»لِأنّهُ بَاعِثٌ عَلَى أفعَالِ الخَيرِ وَمَانِعٌ مِنَ المَعَاصِي، وَيَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وَالقَبَائِحِ، وَيَمْنَعُهُ مِمّا يُعَابُ بِهِ وَيُذَمّ، فَإذَا كَانَ هَذَا أثَرَهُ فَلَا شَكّ أنّهُ خُلُقٌ مَحْمُودٌ، لَا يُنْتِجُ إلّا خَيرًا، فَالّذِي يَهُمّ بِفِعلٍ فَاحِشَةٍ فَيَمْنَعُهُ حَيَاؤُهُ مِنَ ارْتِكَابِهَا، أوْ يَعْتَدِي عَلَيْهِ سَفِيهٌ بِسَبّ وَشَتمٍ، فَيَمْنَعُهُ حَيَاؤُهُ مِنْ مُقَابَلَةِ السّيّئَةِ بِالسّيّئَةِ، أوْ يَسْأَلُهُ سَائِلٌ فَيَمْنَعُهُ حَيَاؤُهُ مِنْ حِرْمَانِهِ، أوْ يَضُمّهُ مَجْلِسٌ فَيُمْسِكُ الحَيَاءُ بِلِسَانِهِ عَنِ الكَلَامِ المُحَرّمِ، كَالغِيبَةِ وَالنّمِيمَةِ، وَالخَوْضِ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ؛ فَالّذِي يَكُونُ لِلْحَيَاءِ فِي نَفْسِهِ هَذِهِ الآثَارُ الْحَسَنَةُ، فَهُوَ ذُو خُلُقٍ مَحْمُودٍ« . وَلِهَذَا كَانَ الحَيَاءُ خَيرًا كُلُّهُ، بَل هُوَ الدّينُ كُلُّهُ.

عَنْ قُرّةَ - ابنِ إيَاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنهُ - قَالَ: كُنّا عِنْدَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم، فَذُكِرَ عِنْدَهُ الحَيَاءُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ، الحَيَاءُ مِنَ الدّينِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم: »بَل هُوَ الدّينُ كُلُّهُ« . لِعُلُوّ مَنزِلَتِهِ، وَجَلِيلِ قَدْرِهِ، وَسُمُوّ مَحَلّهِ، وَرِفعَةِ شَأنِهِ، وَعَظِيمِ نَفعِهِ.

ثَانيًا: الحَيَاءُ إيمَانٌ:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنهُمَا قَالَ: قَالَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم: »الحَيَاءُ وَالإيمَانُ قُرِنَا جَمِيعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الآخَرُ« .

الحَيَاءُ وَالإيمَانُ مَقرُونَانِ لَلا يَفتَرِقَانِ إِلّا جَمِيعًا؛ لِلاستِوَائِهِمَا فِي الحَثّ عَلَى كَثِيرٍ مِن أَعمَالِ البِرّ وَالخَيرِ، وَالزّجرِ عَن كُلّ شَرّ وَقَبِيحٍ مِنَ الفُحشِ وَالفَوَاحِشِ، وَالكَذِبِ وَالفُجُورِ وَالآثَامِ. فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا مِنَ الْمَرْءِ رُفِعَ مِنْهُ الْآخَرُ. وَهَذَا مُشعِرٌ بِعَظَمَةِ الحَيَاءِ، وَعُلُوّ مَكَانَتِهِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنهُ: عَنِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم قَالَ: »الإيمَانُ بِضْعٌ وَستّونَ شُعْبَةً، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمَانِ« .

يَعْنِي: شُعْبَةً عَظِيْمَةً وَمُهِمّةً مِنَ الإِيْمَانِ، يَدُلّ عَلَى ذَلِكَ: التّنْبِيْهُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِ بَقِيّةِ الشّعَبِ .

وَإِنّمَا خَصّهُ هُنَا بِالذّكْرِ، »لِلأَنّهُ يَمْنَعُ مِثْلَ الإِيْمَانِ مِنَ ارْتِكَابِ مَا لَلا يَحِلّ، وَمَا يُعَدّ مِنَ الفُحْشِ وَالفَوَاحِشِ« .

وَعَنْ عَبْدِ اللّهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنهُمَا: أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم مَرّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الحَيَاءِ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم: »دَعْهُ، فَإِنّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ« .

ثَالِثًا: الحَيَاءُ أَبهَى زِينَةٍ:

إِنّ الوَجْهَ المَصُوْنَ بِالحَيَاءِ، كَالجَوْهَرِ المَكْنُوْنِ فِي الوِعَاءِ، وَكَاللّآلِئِ فِي البِحَارِ، وَكَاللّبَابِ فِي الثّمَارِ، وَلَنْ يَتَزَيّنَ إِنْسَانٌ بِزِينَةٍ، هِيَ أَبْهَى وَلَلا أَجْمَلُ مِنَ الحَيَاءِ.

عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللّهُ عَنهُ: عَنِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم قَالَ: »مَا كَانَ الحَيَاءُ فِي شَيءٍ إِلّا زَانَهُ، وَلَلا كَانَ الفُحْشُ فِي شَيءٍ إِلّا شَانَهُ« .

فَلَلا يَكُونُ فِي شَيءٍ مِنَ الأَقوَالِ وَالأَفعَالِ، إِلّا زَيّنَهُ وَجَمّلَهُ وَحَسّنَهُ؛ وَلَلا يُنزَعُ مِن شَيءٍ، إِلّا شَانَهُ وَعَابَهُ وَقَبّحَهُ، وَجَرّ إِلَيهِ العَيْبَ وَالقُبْحَ.

الحَيَاءُ مِفْتَاحُ كُلّ خَيْرٍ.وَالفُحشُ مِفْتَاحُ كُلّ شَرّ.

رَابِعًا: الحَيَاءُ خُلُقٌ يُحِبّهُ اللّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

عَن أَشَجّ عَبدِ القَيسِ رَضِيَ اللّهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ [لِي] النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم: »إِنّ فِيكَ لَخُلُقَينِ يُحِبّهُمَا اللّهُ« قُلتُ: وَمَا هُمَا يَا رَسُولَ اللّهِ؟ قَالَ: »الحِلمُ وَالحَيَاءُ« ... .

وَعَن يَعلَى بنِ أُمَيّةَ رَضِيَ اللّهُ عَنهُ: أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم رَأَى رَجُلًا يَغتَسِلُ بِالبَرَازِ بِلَلا إِزَارٍ، فَصَعِدَ المِنبَرَ، فَحَمِدَ اللّهَ، وَأَثنَى عَلَيهِ؛ ثُمّ قَالَ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم: »إِنّ اللّهَ عَزّ وَجَلّ حَيِيٌّ سِتّيرٌ، يُحِبّ الحَيَاءَ وَالسّترَ، فَإِذَا اغتَسَلَ أَحَدُكُم فَلْيَستَتِر« .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم : »إِنّ اللّهَ... يُحِبّ الْحَيِيّ الْعَفِيفَ الْمُتَعَفِّفَ« .

خَامِسًا: الحَيَاءُ يَقُودُ إِلَى الجَنّةِ:

عَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم: »الحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ، وَالإِيمَانُ فِي الجَنّةِ؛ وَالبَذَاءُ مِنَ الجَفَاءِ، وَالجَفَاءُ فِي النّارِ« .

* »الإِيمَانُ فِي الجَنّةِ«: هُوَ أَهلُ الإِيمَانِ فِي الجَنّةِ. وَمَعنَى البَذَاءِ فِي النّارِ: هُوَ أَهلُ البَذَاءِ فِي النّارِ.
* »البَذَاءُ«: الفُحْشُ فِي القَوْلِ، وَالسّوءُ فِي الخُلُقِ. وَالكَلَامُ البَذِيءُ: الكَلَامُ القَبِيحُ.
* »مِنَ الجَفَاءِ«: أي أَهلُهُ التّارِكُونَ لِلوَفَاءِ، الثّابِتُونَ عَلَى غَلَاظَةِ الطّبعِ وَقَسَاوَةِ القَلْبِ. وَهَذَا يُورِثُ تَرْكَ الصّلَةِ وَالبِرّ.

سَادِسًا: الحَيَاءُ خُلُقُ الإِسلَامِ:

الحَيَاءُ هُوَ مِن أَفضَلِ الأَخلَاقِ وَأَجَلّهَا، وَأَعظَمِهَا قَدرًا، وَأَكثَرِهَا نَفعًا .

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: »إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الإِسْلَامِ الْـحَيَاءُ« .

وَمَعنَاهُ: أَنَّ كُلَّ دِينٍ لَهُ طَبعٌ وَسَجِيَّةٌ؛ وَإِنَّ طَبعَ هَذَا الدِّينِ، وَسَجِيَّتَهُ الَّتِي بِهَا قِوَامُهُ: الحَيَاءُ .

وَذَلِكَ أَنَّ حَقِيقَةَ الإِسلَامِ حُسنُ الخُلُقِ. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: »أَكمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحسَنُهُم خُلُقًا« .

إِذًا فَالحَيَاءُ تَركُ القَبَائِحِ وَالسَّيِّئَاتِ، وَإِتيَانُ المَحَاسِنِ وَالخَيرَاتِ، وَهَذَا خُلُقُ الإِيمَانِ .

»وَلَولَا هَذَا الخُلُقُ لَم يُكرَمْ ضَيفٌ، وَلَم يُوفَ بِوَعدٍ، وَلَم تُؤَدَّ أَمَانَةٌ، وَلَم تُقْضَ حَاجَةٌ، وَلَم تُصَل رَحِمٌ؛ وَلَلا بُرَّ وَالِدٌ، وَلَلا رُحِمَ صَغِيرٌ، وَلَلا وُقِّرَ كَبِيرٌ؛ وَلَلا تَحَرَّى الرَّجُلُ الجَمِيلَ فَآثَرَهُ، وَالقَبِيحَ فَتَجَنَّبَهُ، وَلَلا سَتَرَ لَهُ عَورَةً، وَلَلا امتَنَعَ مِن فَاحِشَةٍ« .

سَابِعًا: الحَيَاءُ شَرِيعَةُ جَمِيعِ الأَنبِيَاءِ عَلَيهِمُ السَّلَام:

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: »إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ، فَاصْنَع مَا شِئْتَ« .

رَفَعَ النَّبِيُّ عَلَيهِ السَّلَام قَدرَ هَذِهِ الكَلِمَةِ، وَأَجَلَّهَا، وَعَظَّمَ شَأنَهَا ؛ لِأَنَّهَا كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ لِخَيرِ الدُّنيَا وَالآخِرَةِ .

فَبَيَّنَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم أَنَّ الحَيَاءَ لَمْ يَزَل مُستَحْسَنًا فِي شَرَائِعِ الأَنبِيَاءِ الأَوَّلِينَ، وَأَنَّهُ لَمْ يُرفَعْ وَلَمْ يُنْسَخْ فِي جُمْلَةِ مَا نَسَخَ اللَّهُ مِنْ شَرَائِعِهِ، بَل تَدَاوَلَهُ النَّاسُ بَيْنَهُمْ، وَتَوَارَثُوهُ عَنْهُمْ، وَتَوَاصَوْا بِهِ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ.

ثَامِنًا: الحَيَاءُ مَانِعٌ مِن فِعلِ المَعَاصِي:

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: »إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ، فَاصْنَع مَا شِئْتَ« .

وَالمَعْنَى: أَنَّ الرَّادِعَ عَنِ القَبِيحِ إِنَّمَا هُوَ الحَيَاءُ، وبِغِيَابِ الحَيَاءِ: تَتَدَمَّرُ الأَخْلَاقُ، وَتُرْتَكَبُ الفَوَاحِشُ وَالمُوبِقَاتُ، فَمَنْ لَمْ يَستَحِ فَإِنَّهُ يَصْنَعُ مَا شَاءَ.

فَالحَيَاءُ هُوَ الحَائِلُ بَيْنَ الإِقْدَامِ عَلَى المَعْصِيَةِ وَالإِمْسَاكِ عَنْهَا، وَأَنَّهُ كَالسَّدِّ إِذَا تَحَطَّمَ انْهَمَرَ المَاءُ يُغْرِقُ كُلَّ شَيْءٍ؛ فَالَّذِي لَا حَيَاءَ لَهُ لَا سَدَّ عِنْدَهُ، فَهَذَا لَا يَمْنَعُهُ مَانِعٌ مِنَ الإِقْدَامِ عَلَى المَعْصِيَةِ لِيَفْعَلَهَا، وَلَا يَرَى بِهَا بَأْسًا.

لِذَلِكَ تَرَاهُ يَرضَى بِتَبَرُّجِ زَوجَتِهِ وَابنَتِهِ وَأُختِهِ، وَمُخَالَطَتِهِنَّ لِلرِّجَالِ، وَدُخُولِهِنَّ عَلَيهِم، وَدُخُولِهِم عَلَيهِنَّ؛ حَتَّى عَظُمَ الشَّرُّ، وَعَظُمَ البَلَاءُ.

قَالَ القَائِلُ:

وَرُبَّ قَبِيحَةٍ مَا حَالَ بَينِي --- وَبَيْنَ رُكُوبِهَا إِلَّا الحَيَاءُ
فَكَانَ هُوَ الدَّوَاءَ لَهَا وَلَكِنْ --- إِذَا ذَهَبَ الحَيَاءُ فَلَا دَوَاءُ

وَلِلَّهِ دَرُّ القَائِلِ:

إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي --- وَلَمْ تَسْتَحْيِ فَافْعَلْ مَا تَشَاءُ
فَلَا وَاللَّهِ مَا فِي العَيْشِ خَيْرٌ --- وَلَا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الحَيَاءُ
يَعِيْشُ المَرْءُ مَا اسْتَحْيَى بِخَيْرٍ --- وَيَبْقَى العُودُ مَا بَقِيَ اللِّحَاءُ

يَبْقَى العُودُ غَضًا طَرِيًا مَا بَقِيَتِ القِشْرَةُ الخَضْرَاءُ، فَإِنْ سَقَطَتْ فَقَد آذَنَتْ حَيَاتُهُ بِالضُّمُور.
وَهَكَذَا النّاسُ يَعِيْشُوْنَ فِي حَيَاةٍ وَسَعَادَةٍ، مَا دَامَ فِيهِمْ خُلُقُ الحيَاءِ؛ وَإِذَا فَقَدُوهُ فَقَدْ هَلَكُوْا، فَلَيْسَ فِيهِمْ وَلَا فِي حَيَاتِهِمْ خَيْرٌ. فَلَا حَيَاةَ بِلَا حَيَاءٍ.

كَيفَ يَكُونُ الحَيَاءُ مِنَ اللهِ تَعَالَى؟

عَن عَبْدِ اللهِ بنِ مَسعُودٍ رَضِيَ اللّهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم: »استَحيُوا مِنَ اللّهِ حَقّ الحَيَاءِ« قَالَ: قُلنَا: يَا رَسُولَ اللّهِ، إِنّا نَستَحْيِي وَالحَمدُ لِلّهِ؛ قَالَ: »لَيسَ ذَاكَ، وَلَكِنّ الاستِحيَاءَ مِنَ اللّهِ حَقّ الحَيَاءِ: أَن تَحفَظَ الرّأسَ وَمَا وَعَى، وَالبَطنَ وَمَا حَوَى، وَلتَذكُرِ المَوتَ وَالبِلَى؛ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ، تَرَكَ زِينَةَ الدّنيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَقَد استَحيَا مِنَ اللّهِ حَقّ الحَيَاءِ« .
نَعَمْ! هَذَا هُوَ الاستِحيَاءُ الحَقِيقِيُّ الّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ نَبِيُّ الإِسْلَامِ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم: وَهُوَ أَنْ يَحْفَظَ الإِنْسَانُ حَوَاسّهُ، يَحْفَظُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَلِسَانَهُ، فَلَا يَسْمَعُ إِلَى فُحْشٍ، وَغِنَاءٍ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَى مُحَرّمٍ أَوْ شَهْوَةٍ، وَلَا يَتَكَلّمُ بِقَبِيحٍ أَوْ مُنْكَرٍ؛ وَكَذَلِكَ يَحْفَظُ بَطْنَهُ فَلَا يُدْخِلُ إِلَيْهِ حَرَامًا، وَيَحْفَظُ فَرْجَهُ فَلَا يَرْتَكِبُ فَاحِشَةً. وَيَذْكُرُ المَوْتَ وَمَا بَعْدَهُ، فَيَسْتَعِدُّ لَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ، فَآثَرَ مَا يَبقَى عَلَى مَا يَفنَى، فَآثَرَ الآخِرَةَ عَلَى الدّنيَا.
وَهَكَذَا يَكُونُ قَدْ تَحَقّقَ بِمَعْنَى الاستِحيَاءِ؛ الّذِي هُوَ مُبَالَغَةٌ فِي الحَيَاءِ.
عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَزِيدَ رَضِيَ اللّهُ عَنهُ: أَنّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَوْصِنِي؟ قَالَ: »أُوصِيكَ أَنْ تَسْتَحِيَ اللّهَ عَزّ وَجَلّ، كَمَا تَسْتَحِي رَجُلًا صَالِحًا مِنْ قَوْمِكَ« .
يَا لَهَا مِن وَصِيّةٍ: مَا أَجَلّهَا وَأَعْلَاهَا! لِمَن وُفّقَ لِلعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا.
فَمِنْ وَقَارِ اللّهِ: أَنْ يَسْتَحِيَ العَبْدُ مِنَ اللّهِ تَعَالَى »فِي الخَلوَةِ، أَعظَمَ مِمّا يَستَحِي مِنْ أَكَابِرِ النّاسِ« .
وَاعلَم أَنّ اللّهَ تَعَالَى نَاظِرٌ إِلَيكَ، مُطّلِعٌ عَلَيكَ، فَقُل لِنَفسِكَ: لَو كَانَ رَجُلٌ مِنْ صَالِحِي قَومِي يَرَانِي، لَلاستَحَيْتُ مِنْهُ، فَكَيفَ لَا أَستَحِي مِن رَبّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ثُمّ لَا آمَنُ تَعجِيلَ عُقُوبَتِهِ وَكَشفَ سَترِهِ؟!
فَإِنّ مَنْ عَلِمَ أَنّ اللّهَ يَرَاهُ حَيثُ كَانَ، وَأَنّهُ مُطّلِعٌ عَلَى بَاطِنِهِ وَظَاهِرِهِ وَسِرّهِ وَعَلَانِيَتِهِ، وَاستَحضَرَ ذَلِكَ فِي خَلَوَاتِهِ، أَوجَبَ لَهُ ذَلِكَ تَرْكَ المَعَاصِي فِي السّرّ.
قَالَ القَحطَانِيُّ رَحِمَهُ اللّهُ:

وَإِذَا خَلَوتَ بِرِيبَةٍ فِي ظُلمَةٍ --- وَالنّفسُ دَاعِيَةٌ إِلَى الطّغيَانِ
فَاستَحْيِ مِن نَظَرِ الإِلَهِ وَقُل لَهَا --- إِنّ الّذِي خَلَقَ الظّلَامَ يَرَانِي

وَعَن مُعَاوِيَةَ بنِ حَيدَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنهُ قَالَ: قُلتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ، عَوراتُنَا مَا نَأتِي مِنْهَا وَمَا نَذَرُ؟ قَالَ: »احفَظْ عَورَتَكَ إِلّا مِنْ زَوجَتِكَ، أَو مَا مَلَكَت يَمِينُكَ« قَالَ: قُلتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ، إِذَا كَانَ القَومُ بَعضُهُم فِي بَعضٍ؟ قَالَ: »إِنِ استَطَعتَ أَن لَا يَرَيَنّهَا أَحَدٌ، فَلَا يَرَيَنّهَا« قَالَ: قُلتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ، إِذَا كَانَ أَحَدُنَا خَالِيًا؟ قَالَ: »اللّهُ أَحَقّ أَنْ يُستَحيَى مِنْهُ مِنَ النّاسِ« .
فَقَد أَمَرَ النّبِيُّ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم الرّجُلَ: أَن يَستُرَ عَورَتَهُ، وَإِن كَانَ خَالِيًا لَا يَرَاهُ أَحَدٌ، تَأَدّبًا مَعَ اللّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَاستِحيَاءً مِنهُ؛ فَكَيفَ يَنبَغِي أَن يَكُونَ حَيَاءُ الإِنسَانِ مِنهُ تَعَالَى، إِذَا رَآهُ حَيثُ نَهَاهُ؟!
»فَمَتَى كَمُلَ حَيَاءُ الإِنْسَانِ [مِنَ اللّهِ تَعَالَى]، فَقَدْ كَمُلَتْ فِيهِ أَسْبَابُ الخَيْرِ، وَانْتَفَتْ عَنْهُ أَسْبَابُ الشّرّ؛ وَصَارَ بِالفَضْلِ مَشْهُورًا، وَبِالجَمِيلِ مَذْكُورًا« . فَسَلِمَتْ أَفْعَالُهُ، وَتَهَذّبَتْ أَخْلَاقُهُ، وَطَهُرَ سِرّهُ، وَظَهَرَ بِرّهُ، وَقَلّ شَرّهُ، وَكَثُرَ خَيْرُهُ.

خَلوَةُ الّذِينَ لَا يَستَحيُونَ مِنَ اللّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

لَمّا غَابَ الحَيَاءُ مِنَ اللّهِ عِنْدَ كَثِيْرٍ مِنَ النّاسِ، تَجَرّؤُوا عَلَى مَحَارِمِ اللّهِ.
عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللّهُ عَنهُ: عَنِ النّبِيِّ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم أَنّهُ قَالَ: »لَأَعْلَمَنّ أَقْوَامًا مِنْ أُمّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ، بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللّهُ عَزّ وَجَلّ هَبَاءً مَنْثُورًا«. قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! صِفْهُم لَنَا، جَلِّهِم لَنَا، أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُم وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ؛ قَالَ: »أَمَا إِنّهُم إِخْوَانُكُم وَمِنْ جِلدَتِكُم، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنّهُم أَقْوَامٌ، إِذَا خَلَوا بِمَحَارِمِ اللّهِ انْتَهَكُوهَا« .
فَهَؤُلَاءِ قَامُوا بِأَعمَالٍ ظَاهِرَةٍ، وَاعتَنَوا بِالمَظَاهِرِ، وَجَعَلُوهَا زَاهِيَةً؛ وَأَهمَلُوا سَرَائِرَهُم، وَبَوَاطِنَهُم، وَجَعَلُوهَا خَاوِيَةً، فَلَم يُرَاقِبُوا اللّهَ فِي خَلَوَاتِهِم.
هَؤُلَاءِ يَنطَبِقُ عَلَيهِم قَولُ يَحْيَى بنِ مُعَاذٍ الرّازِيِّ رَحِمَهُ اللّهُ:

أَظهَرَ بَينَ الخَلقِ إِحسَانَهُ --- وَخَالَفَ الرّحمَنَ لَمّا خَلَا

»يَستَخِفُّ بِنَظَرِ اللّهِ إِلَيهِ وَاطّلَاعِهِ عَلَيهِ: وَهُوَ فِي قَبضَتِهِ، وَنَاصِيَتُهُ بِيَدِهِ، وَيُعَظِّمُ نَظَرَ المَخلُوقِ إِلَيهِ، وَاطّلَاعَهُ عَلَيهِ بِكُلِّ قَلبِهِ وَجَوَارِحِهِ؛ يَستَحيِي مِنَ النّاسِ وَلَا يَستَحيِي مِنَ اللّهِ، وَيُعَامِلُ الخَلقَ بِأَفضَلَ مَا يَقدِرُ عَلَيهِ، وَإِن عَامَلَ اللّهَ عَامَلَهُ بِأَهوَنَ مَا عِنْدَهُ وَأَحقَرَهُ؛ وَإِن قَامَ فِي خِدمَةِ مَن يُحِبُّهُ مِنَ البَشَرِ، قَامَ بِالجِدِّ وَالِاجتِهَادِ وَبَذلِ النّصِيحَةِ، وَقَدْ فَرّغَ لَهُ قَلبَهُ وَجَوَارِحَهُ، وَقدّمَهُ عَلَى كَثِيرٍ مِن مَصَالِحِهِ« .
»أَفَلَا يَستَحِي العَبدُ مِن رَبِّهِ وَمَولَاهُ وَمَعبُودِهِ أَن لَا يَكُونَ فِي عَمَلِهِ هَكَذَا؟! وَهُوَ يَرَى المُحِبّينَ فِي أَشغَالِ مَحبُوبِيهِم مِنَ الخَلقِ كَيفَ يَجتَهِدُونَ فِي إِيقَاعِهَا عَلَى أَحسَنِ وَجهٍ وَأَكمَلِهِ، بَل هُوَ يَجِدُ مِن نَفسِهِ ذَلِكَ مَعَ مَن يُحِبُّهُ مِنَ الخَلقِ، فَلَا أَقَلّ مِن أَن يَكُونَ مَعَ رَبِّهِ بِهَذِهِ المَنزِلَةِ« .
عَن أُسَامَةَ بنِ شَرِيكٍ رَضِيَ اللّهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم: »مَا كَرِهَ اللّهُ منكَ شَيئًا، فَلَا تَفعَلهُ إِذَا خَلَوتَ« .
أَفَلَم يَأنِ لِلّذِينَ يَخلُونَ بِمَحَارِمِ اللّهِ وَيَدخُلُونَ عَلَى المَوَاقِعِ الإِبَاحِيّةِ، وَيُشَاهِدُونَ الأَفلَامَ الخَلِيعَةَ، أَن يَتُوبُوا إِلَى اللّهِ: مِن قَبلِ أَن يَأتِيَ يَومٌ تُبلَى فِيهِ السّرَائِرُ، وَيُحَصّلَ فِيهِ مَا فِي الصّدُورِ. يَومَ يَدُومُ فِيهِ النّدَمُ، لِمَن زَلّت بِهِ القَدَمُ، قَبلَ أَنْ يَقُولَ المُذنِبُ: رَبِّ ارجِعُونِ. فَيُقَالَ لَهُ: هَيهَاتَ، فَاتَ مَا فَاتَ، وَكَانَ مَا كَانَ، وَأَتَى مَا هُوَ آتٍ، وَقَد بَعُدَتْ بَينَكَ وَبَينَ التّوبَةِ المَسَافَاتُ.
قَالَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿حَتّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ المَوتُ قَالَ رَبِّ ارجِعُونِ * لَعَلّي أَعمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكتُ كَلَّا إِنّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرزَخٌ إِلَى يَومِ يُبعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 99 - .100]
يَا مَن يُشَاهِدُ المَحَطّاتِ المَاجِنَةَ، وَيَسمَعُ الأَصْوَاتَ الفَاجِرَةَ؛ الّتِي تَعْمَلُ فِي القُلُوبِ، أَعْظَمَ مِنَ السُّمِّ فِي الأَبْدَانِ؛ اعلَمْ بِأَنّ »مَنِ استَحيَى مِنَ اللّهِ عِندَ مَعْصِيَتِهِ، استَحيَى اللّهُ مِن عُقُوبَتِهِ يَوْمَ يَلقَاهُ؛ وَمَن لَم يَستَحِ مِن مَعْصِيَتِهِ، لَمْ يَسْتَحِ مِن عُقُوبَتِهِ« .
وَلِلّهِ دَرُّ القَائِلِ:

يَا مُدمِنَ الذّنبِ أَمَا تَستَحِي --- وَاللّهُ فِي الخَلوَةِ ثَانِيكَا
غَرّكَ مِن رَبّكَ إِمهَالُهُ --- وَسَترُهُ طُولَ مَسَاوِيكَا

نَمَاذِجُ مُشرِقَةٌ مِنَ الحَيَاءِ

-1 أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنهَا: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم: »مَنْ جَرّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ، لَمْ يَنْظُرِ اللّهُ إِلَيهِ يَوْمَ القِيَامَةِ« فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَكَيْفَ يَصْنَعْنَ النّسَاءُ بِذُيُولِهِنّ؟ قَالَ: »يُرْخِينَ شِبْرًا« فَقَالَتْ: إِذًا تَنْكَشِفُ أَقْدَامُهُنّ! قَالَ: »فَيُرْخِينَهُ ذِرَاعًا، لَا

يَزِدْنَ عَلَيْهِ« .

يَا سُبْحَانَ اللّهِ! الرّسُولُ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم يَقُولُ لِلأُمّ سَلَمَةَ: »يُرْخِينَ شِبْرًا«، وَلَكِنّهَا تَقُوْلُ: إِنّ النّسَاءَ لَلا تُطِيْقُ هَذَا، لِلأَنّ أَقْدَامَهُنّ سَتَنْكَشِفُ عِنْدَ المَشْيِ، فَلَمْ تَرْضَ أَنْ يُرْخَى الثّوْبُ شِبْرًا يُجَرْجِرُ فِي الأَرْضِ؛ وَلَكِنّ فَتَيَاتِ هَذَا الزّمَانِ رَضِيْنَ بِهَذَا الشّبْرِ، وَلَكِنّهُ لَيْسَ شِبْرًا يُجَرْجِرُ فِيْ الأَرْضِ، لَكِنّهُ شِبْرٌ فَوْقَ الرّكْبَتَيْنِ.

الْمَرْأَةُ فِي الْحَقِيقَةِ هِيَ قِطْعَةٌ مِنَ الْحَيَاءِ، فَإِذَا فَقَدَتِ الْمَرْأَةُ حَيَاءَهَا؛ فَقَدَتْ كُلّ شَيْءٍ، وَفَعَلَتْ كُلّ شَيْءٍ. وَبَطنُ الأَرضِ خَيرٌ لَهَا مِن ظَهرِهَا.

2- المَرْأَةُ السّوْدَاءُ رَضِيَ اللّهُ عَنهَا: عَنْ عَطَاءَ بنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: قَالَ لِي ابنُ عَبّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنهُمَا: أَلَا أُرِيْكَ امرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنّةِ؟ قُلتُ: بَلَى، قَالَ: هَذِهِ المَرْأَةُ السّوْدَاءُ، أَتَتِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم فَقَالَتْ: إِنّي أُصْرَعُ - الصّرْعُ: عِلّةٌ فِي الجِهَازِ العَصَبِيّ تَصحَبُهَا غَيبُوبَةٌ وَتَشَنّجٌ فِي العَضَلَاتِ، وَقَد تَكُونُ بِدُخُولِ الجِنّيّ فِي بَدَنِ المَصرُوعِ، قَالَ اللّهُ تَعَالَى: ﴿الّذِينَ يَأكُلُونَ الرّبَا لَلا يَقُومُونَ إِلّا كَمَا يَقُومُ الّذِي يَتَخَبّطُهُ الشّيطَانُ مِنَ المَسّ﴾ [البقرة: 275] -، وَإِنّي أَتَكَشّفُ - أي: خَشِيَتْ أن تَظهَرَ عَورَتُهَا وَهِيَ لَلا تَشعُرُ -، فَادْعُ اللّهَ لِي - أي: بِالعَافِيَةِ مِن هَذَينِ الأَمرَينِ -؛ قَالَ: »إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوتُ اللّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ« فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنّي أَتَكَشّفُ، فَادْعُ اللّهَ لِي أَنْ لَلا أَتَكَشّفَ، فَدَعَا لَهَا .

حَرَصَتْ عَلَى عَدَمِ التّكَشّفِ وَسَترِ العَورَةِ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ المَفَاسِدِ مَا لَلا يَخفَى.

فَهَذِهِ المَرْأَةُ سَوْدَاءُ، لَكِنْ قَلبُهَا أَبْيَضُ. قَدْ تَصْبِرُ عَلَى المَرَضِ، وَلَكِنّهَا لَلا تَستَطِيعُ الصّبْرَ عَلَى خَدْشِ الحَيَاءِ، وَجَرْحِ العَفَافِ؛ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ إِرَادَتِهَا.

أَلَمْ يَأْنِ لِلنّسْوَةِ فِي هَذَا الزّمَنِ العَصِيبِ: أَنْ يَقْتَدِيْنَ بِهَذِهِ المَرْأَةِ، وَيَتَرَبّيْنَ عَلَى العَفَافِ وَالحَيَاءِ؟!

مَظَاهِرُ قِلّةِ الحَيَاءِ

• خُرُوجُ النّسَاءِ كَاسِيَاتٍ عَارِيَاتٍ:

عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللّهُ عَنهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم يَقُولُ: »سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمّتِي رِجَالٌ... نِسَاؤُهُمْ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ... العَنُوهُنّ، فَإِنّهُنّ مَلعُونَاتٌ...« .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم: »صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ البَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُؤُوسُهُنّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المَائِلَةِ، لَلا يَدْخُلْنَ الجَنّةَ، وَلَلا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا« .

يَا سُبحَانَ اللّهِ العَظِيمِ! أَينَ عُقُولُ هَؤُلَاءِ؟ أَعُمِيَتْ أَبصَارُهُنّ وَبَصَائِرُهُنّ؟!

فَهَؤُلَاءِ النّسْوَةُ الفَاجِرَاتُ اللّوَاتِي خَالَفْنَ تَعَالِيمَ الدّيْنِ وَآدَابَ الإِسلَامِ، فَخَلَعْنَ مَلَابِسَهُنّ، وَكَشَفْنَ عَنْ سَوَاعِدِهِنّ، وَلَبِسْنَ المَلَابِسَ الرّقِيقَةَ الّتِي لَلا تَستُرُ جَسَدًا، وَلَلا تُخْفِي عَورَةً؛ وَإِنّمَا تَزِيدُ فِي الفِتْنَةِ وَالإِغْرَاءِ، وَمَشَيْنَ مِشْيَةً، فِيهَا لَفْتُ أَنْظَارِ الرّجَالِ. »فَهُنّ كَاسِيَاتٌ بِاللّاسم، عَارِيَاتٌ فِي الحَقِيقَةِ« . يَنْطَبِقُ عَلَيْهِنّ قَوْلُ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم: ...» وَشَرّ نِسَائِكُمُ المُتَبَرّجَاتُ المُتَخَيّلَاتُ، وَهُنّ المُنَافِقَاتُ« .

وَلَقَدْ صَوّرَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم هَؤُلَاءِ النّسْوَةَ، وَهُنّ يَتَبَخْتَرْنَ فِي الشّوَارِعِ وَالطّرُقَاتِ، وَيَتَسَكّعْنَ فِي الأَسْوَاقِ وَالمُنْتَدَيَاتِ، صَوّرَهُنّ بِقَوْلِهِ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم: »مَائِلَاتٌ مُمِيلَاتٌ« أَيْ: أَنّهُنّ مَائِلَاتٌ فِي مِشْيَتِهِنّ، مُمِيلَاتٌ لِقُلُوبِ الرّجَالِ؛ ثُمّ عَدّدَ الرّسُولُ الكَرِيمُ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم مِنْ قَبَائِحِهِنّ: بِأَنّهُنّ يُصَفّفْنَ شُعُورَهُنّ، حَتّى يُصْبِحَ شَعْرُ الوَاحِدَةِ مِنْهُنّ مِثْلَ سَنَامِ الجَمَلِ فِي اللّارْتِفَاعِ، وَقَدْ وَضَعَتْ عَلَيْهِ أَنْوَاعَ الزّيْنَةِ؛ وَصَبَغَتْهُ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الأَصْبَاغِ المُغْرِيَةِ، وَكَدّسَتْهُ فَوْقَ رَأْسِهَا كَأَنّهُ شَاهِقٌ مِنَ الجَبَلِ، أَوْ سَدّ عَالٍ مِنْ سُدُودِ الصّيْنِ.

وَقَدْ خَتَمَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم هَذَا الحَدِيْثَ الشّرِيفَ بِمَا يَفْزَعُ لَهُ قَلبُ الإِنْسَانِ، فَقَالَ: »لَلا يَدْخُلْنَ الجَنّةَ، وَلَلا يَجِدْنَ رِيحَهَا«.

وَأيُّ عَذَابٍ أشَدُّ مِنْ هَذَا العَذَابِ؟! أنْ يُحْرَمَ الإنسَانُ الجَنَّةَ وَنَعِيْمَهَا، وَألّا يَجِدَ رِيحَهَا أبَدًا، مَعَ أنّ رِيحَهَا يُوْجَدُ مِنْ مَسِيْرَةِ خَمْسِمِئَةِ عَامٍ؟!
اللّهُمّ احْفَظْنَا مِنَ الفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، إنّكَ سَمِيْعٌ مُجِيْبُ الدّعَاءِ.

• كَثرَةُ خُرُوجِ المَرأةِ مِنَ البَيتِ:

عَنِ ابنِ مَسعُودٍ رَضِيَ اللّهُ عَنهُ: عَنِ النّبِيِّ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم قَالَ: »إنّ المَرْأةَ عَوْرَةٌ، فَإذَا خَرَجَتِ اسْتَشْرَفَهَا الشّيْطَانُ؛ وَأقْرَبُ مَا تَكُونُ مِنْ وَجْهِ رَبّهَا، وَهِيَ فِي قَعْرِ بَيْتِهَا« .
قَولُهُ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم: »فَإذَا خَرَجَتِ اسْتَشْرَفَهَا الشّيْطَانُ«؛ أيْ: زَيّنَهَا فِي نَظَرِ الرّجَالِ، وَقِيلَ: أي: نَظَرَ إلَيْهَا، لِيُغْوِيَهَا وَيُغْوِيَ بِهَا .

• خُرُوجُ المَرأةِ مُتَعَطّرَةً:

عَنْ أبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنهُ قَالَ: لَقِيَتْهُ امْرَأةٌ وَجَدَ مِنْهَا رِيحَ الطّيْبِ يَنْفَحُ، وَلِذَيْلِهَا إعْصَارٌ - أي: رِيحٌ تَرْتَفِعُ بِتُرَابٍ بَيْنَ السّمَاءِ وَالأرْضِ، وَتَسْتَدِيرُ كَأنّهَا عَمُودٌ - ، فَقَالَ: يَا أمَةَ الجَبّارِ - نَادَاهَا بِهَذَا الاسْمِ تَخْوِيفًا لَهَا - ، جِئْتِ مِنَ المَسْجِدِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: وَلَهُ تَطَيّبْتِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ؛ قَالَ: إنّي سَمِعْتُ حِبّي - أيْ: مَحْبُوبِي - أبَا القَاسِمِ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم يَقُولُ: »لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ لِامْرَأةٍ تَطَيّبَتْ لِهَذَا المَسْجِدِ، حَتّى تَرْجِعَ فَتَغْتَسِلَ غُسْلَهَا مِنَ الجَنَابَةِ« - أي: كَغُسْلِهَا مِنَ الجَنَابَةِ .-
هَذَا حُكمُ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم فِيمَن خَرَجَت إلَى المَسجِدِ مُتَعَطّرَةً. فَمَاذَا يَكُونُ حُكمُهُ فِيمَن تَخرُجُ إلَى عُرسٍ وَنَحوِهِ مُتَعَطّرَةً؟! فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأبْصَارِ.
وَعَنِ الأشْعَرِيِّ (يَعنِي: أبَا مُوسَى رَضِيَ اللّهُ عَنهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم: »أيّمَا امْرَأةٍ اسْتَعْطَرَتْ، فَمَرّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا مِنْ رِيحِهَا، فَهِيَ زَانِيَةٌ« .

• مَشيُ المَرأةِ فِي وَسَطِ الطّرِيقِ:

عَنْ أبِي أسَيْدٍ الأنْصَارِيِّ رَضِيَ اللّهُ عَنهُ: أنّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم يَقُولُ - وَهُوَ خَارِجٌ مِنَ المَسْجِدِ، فَاخْتَلَطَ الرّجَالُ مَعَ النّسَاءِ فِي الطّرِيقِ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم لِلنّسَاءِ :- »اسْتَأخِرْنَ، فَإنّهُ لَيْسَ لَكُنّ أنْ تَحْقُقْنَ الطّرِيقَ، عَلَيْكُنّ بِحَافَاتِ الطّرِيقِ«. قَالَ: فَكَانَتِ المَرْأةُ تَلْتَصِقُ بِالجِدَارِ، حَتّى إنّ ثَوْبَهَا لَيَتَعَلّقُ بِالجِدَارِ مِنْ لُصُوقِهَا بِهِ .
سُبْحَانَ اللّهِ! بَادَرْنَ إلَى تَنْفِيذِ أمرِ النّبِيِّ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم، بَلْ بَالَغْنَ فِي ذَلِكَ.
وَضعُ المَرأةِ ثِيَابَهَا فِي غَيرِ بَيتِ زَوجِهَا:
عَنْ أمّ الدّرْدَاءِ رَضِيَ اللّهُ عَنهَا قَالَتْ: خَرَجْتُ مِنَ الحَمّامِ، فَلَقِيَنِي رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم، فَقَالَ: »مِنْ أيْنَ يَا أمّ الدّرْدَاءِ؟« قَالَتْ: مِنَ الحَمّامِ، فَقَالَ: »وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنَ امْرَأةٍ تَضَعُ ثِيَابَهَا، فِي غَيْرِ بَيْتِ أحَدٍ مِنْ أمّهَاتِهَا، إلّا وَهِيَ هَاتِكَةٌ كُلّ سِتْرٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الرّحْمَنِ« .
وَعَنْ أبِي المَلِيحِ الهُذَلِيِّ: أنّ نِسَاءً مِنْ أهْلِ حِمْصٍ، أوْ مِنْ أهْلِ الشّامِ، دَخَلْنَ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنهَا، فَقَالَتْ: أنْتُنّ اللّاتِي يَدْخُلْنَ نِسَاؤُكُنّ الحَمّامَاتِ؟! سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم يَقُولُ: »مَا مِنَ امْرَأةٍ تَضَعُ أثْيَابَهَا فِي غَيْرِ بَيْتِ زَوْجِهَا، إلّا هَتَكَتِ السّتْرَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ رَبّهَا« .
فَيَحرُمُ عَلَى المَرأةِ أن تَخلَعَ ثِيَابَهَا فِي غَيرِ بَيتِ زَوجِهَا: كَالمَسَابِحِ، وَصَالُونَاتِ التّجمِيلِ، وَالأنديَةِ الرّيَاضِيّةِ.
وَلْتَتَأمّلْ كُلّ مَنْ سَوّلَتْ لَهَا نَفْسُهَا، وَأمْلَى الشّيْطَانُ لَهَا، بِخَلْعِ الحِجَابِ وَالحَيَاءِ، الحَدِيثَ التّالِيَ:
عَنْ عَمْرِو بنِ العَاصِ رَضِيَ اللّهُ عَنهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم ... إذْ قَالَ: »انْظُرُوا! هَلْ تَرَوْنَ شَيْئًا؟« فَقُلْنَا: نَرَى غِرْبَانًا فِيهَا غُرَابٌ أعْصَمُ أحْمَرُ المِنْقَارِ وَالرّجْلَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلّم: »لَا يَدخُلُ الجَنّةَ مِنَ النّسَاءِ، إلّا مَنْ كَانَ مِنْهُنّ مِثْلَ هَذَا الغُرَابِ فِي الغِرْبَانِ« .

الأعْصَمُ: هُوَ أحْمَرُ المِنْقَارِ وَالرِّجْلَيْنِ. وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ قِلَّةِ مَنْ يَدخُلُ الجَنَّةَ مِنَ النِّسَاءِ، لِلأنّ هَذَا الوَصْفَ فِي الغِرْبَانِ عَزِيزٌ قَلِيلٌ.

صُوَرٌ مِنَ الحَيَاءِ المَذمُومِ

- 1 تَركُ الأمرِ بِالمَعرُوفِ وَالنّهيِ عَنِ المُنكَرِ:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قَالَ: »لَلا يَمْنَعَنّ أحَدَكُمْ هَيْبَةُ النّاسِ: أنْ يَتَكَلَّمَ بِحَقٍّ إِذَا رَآهُ، أَوْ شَهِدَهُ، أَوْ سَمِعَهُ«

.

كَأنْ يَأكُلَ وَالِدٌ بِشِمَالِهِ، فَيَستَحيِ الوَلَدُ مِن نَهيِ أبِيهِ عَنِ الأكْلِ بِالشِّمَالِ حَيَاءً مِنْهُ.

فَلَلا يَنْبَغِيْ لَكَ أنْ تَتْرُكَ الأمْرَ بِالمَعْرُوْفِ، وَالنّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ، حَيَاءً مِنَ النّاسِ.

- 2 مُقَارَفَةُ الإِثْمِ اسْتِحيَاءً مِنَ النّاسِ:

كَأنْ تَمُدّ امْرَأةٌ أجْنَبِيَّةٌ يَدَهَا إِلَى رَجُلٍ فَيُصَافِحَهَا، وَيَزْعُمَ أنّهُ اسْتَحْيَا مِنْهَا؛ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: »لَلأنْ يُطْعَنَ فِيْ رَأسِ أحَدِكُمْ بِمِخْيَطٍ مِنْ حَدِيْدٍ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أنْ يَمَسّ امْرَأةً لَلا تَحِلُّ لَهُ« .

فَمَن صَافَحَ امرَأةً أجنَبِيَّةً حَيَاءً مِنهَا، فَليَتَذَكّرِ الحَدِيثَ التّالِيَ:

عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا قَالَت: قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: »مَنِ الْتَمَسَ رِضَى اللّهِ بِسَخَطِ النّاسِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأرْضَى النّاسَ عَنْهُ؛ وَمَنِ التَمَسَ رِضَى النّاسِ بِسَخَطِ اللّهِ، سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأسْخَطَ عَلَيهِ النّاسَ« .

وَاعلَم أنّ اللّهَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى إِذَا رَضِيَ عَنِ العَبدِ، أرضَى النّاسَ عَنهُ؛ وَإِذَا سَخِطَ عَنِ العَبدِ، أسخَطَ النّاسَ عَلَيهِ.

- 3 تَركُ طَلَبِ العِلمِ:

قَالَ مُجَاهِدٌ رَحِمَهُ اللّهُ: لَلا يَتَعَلّمُ العِلمَ مُسْتَحْيٍ وَلَلا مُسْتَكْبِرٌ .

وَلِهَذَا: فَإِنّ الصّحَابِيّاتِ رَضِيَ اللّهُ عَنهُنّ، لَمْ يَمْنَعْهُنّ الحَيَاءُ مِنْ طَلَبِ العِلمِ الشّرْعِيّ.

قَالَت عَائِشَةُ رَضِيَ اللّهُ عَنهَا: نِعمَ النّسَاءُ نِسَاءُ الأنصَارِ، لَم يَكُن يَمنَعُهُنّ الحَيَاءُ أن يَتَفَقّهنَ فِي الدّينِ .

مِمّ يَتَوَلّدُ الحَيَاءُ؟

اعْلَمْ - بَارَكَ اللّهُ فِيكَ - بِأنّ أعظَمَ الحَيَاءِ يَنْبَغِي أنْ يَكُونَ مِنَ اللّهِ تَعَالَى، الّذِي نَتَقَلّبُ فِي نِعَمِهِ وَإِحسَانِهِ اللّيلَ وَالنّهَارَ، وَلَلا نَستَغنِي عَنْهُ طَرفَةَ عَينٍ؛ وَنَحنُ تَحتَ سَمعِهِ وَبَصَرِهِ، لَلا يَغِيبُ عَنْهُ مِنْ حَالِنَا وَقَولِنَا وَفِعلِنَا شَيءٌ. فَهُوَ الّذِي خَلَقَنَا، وَهُوَ الّذِي رَزَقَنَا، فَنَطْعَمُ مِنْ خَيرِهِ، وَنَتَنَفّسُ فِي جَوّهِ، وَنَعِيشُ عَلَى أرضِهِ، وَنَستَظِلُّ بِسَمَائِهِ؛ وَآلَلاؤُهُ غَمَرَتنَا مِنَ المَهْدِ إِلَى اللّحدِ، وَإِلَى مَا بَعدَ ذَلِكَ مِن خُلُودٍ طَوِيلٍ فِي الجَنّةِ - إِن شَاءَ اللّهُ تَعَالَى .- فَكَيفَ لَلا نَستَحِي مِنْهُ؟ وَكَيفَ نُقَابِلُ كُلّ هَذِهِ النّعَمِ بِالإِسَاءَةِ؟!

وَالعَجَبُ مِمّن يَعلَمُ أنّ كُلّ مَا بِهِ مِنَ النّعَمِ مِنَ اللّهِ، ثُمّ لَلا يَستَحِي مِنَ اللاستِعَانَةِ بِهَا عَلَى ارتِكَابِ مَا نَهَاهُ عَنهُ!

وَيَتَوَلّدُ الحَيَاءُ مِنَ »المَعرِفَةِ بِعَظَمَةِ اللّهِ وَجَلَلالِهِ وَقُدرَتِهِ، لِلأنّهُ إِذَا ثَبَتَ تَعظِيمُ اللّهِ فِي قَلبِ العَبدِ، أورَثَهُ الحَيَاءَ مِنَ اللّهِ وَالهَيبَةَ لَهُ، فَغَلَبَ عَلَى قَلبِهِ خَمسَةُ أُمُورٍ:

أوّلًا: ذِكرُ اطّلاعِ اللّهِ العَظِيمِ إِلَى مَا فِي قَلبِهِ وَجَوَارِحِهِ. ﴿وَاللهُ يَعلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُم﴾.

ثَانِيًا: وَذِكرُ المَقَامِ غَدًا بَينَ يَدَيهِ.

ثَالِثًا: وَسُؤَالُهُ إِيّاهُ عَنْ جَمِيعِ أعمَالِ قَلبِهِ وَجَوَارِحِهِ. ﴿إِنّ السّمعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلّ أُولَلائِكَ كَانَ عَنهُ مَسؤُولًا﴾ [الإسراء: .[36

رَابِعًا: وَذِكرُ دَوَامِ إِحسَانِهِ إِلَيهِ، بِأَنوَاعِ الإِحسَانِ وَالإِنعَامِ وَالأَرزَاقِ وَالعَطَايَا، وَهُوَ سُبحَانَهُ كَثِيرُ الإِحسَانِ، فَلَا نِهَايَةَ لِلإِحسَانِهِ. ﴿وَمَا بِكُم مِن نِعمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾ [النحل: .[53

خَامِسًا: وَقِلَّةُ الشُّكرِ مِنْهُ لِرَبِّهِ. ﴿وَقَلِيلٌ مِن عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: .[13

فَإِذَا غَلَبَ ذِكرُ هَذِهِ الأُمُورِ عَلَى قَلبِهِ، [انبَعَثَتْ] مِنَ العَبدِ قُوَّةُ الحَيَاءِ مِنَ اللهِ، فَاستَحيَى مِنَ اللهِ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَى قَلبِهِ، وَهُوَ مُعتَقِدٌ لِشَيءٍ مِمَّا يَكرَهُ؛ أَو عَلَى جَارِحَةٍ مِنْ جَوَارِحِهِ، تَتَحَرَّكُ بِمَا يَكرَهُ، فَطَهَّرَ قَلبَهُ مِنْ كُلِّ مَعصِيَةٍ، وَمَنَعَ جَوَارِحَهُ مِنْ جَمِيعِ مَعَاصِيهِ« .

فَيَستَحيِي مِن رَبِّهِ أَن يَرَاهُ عَلَى مَا يَكرَهُ، أَو يَسمَعَ مِنهُ مَا يَكرَهُ، أَو يُخفِيَ فِي سَرِيرَتِهِ مَا يَمقُتُهُ عَلَيهِ .

* * *

الخَاتِمَةُ

الحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَاتَمِ الأَنبِيَاءِ وَالمُرسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَن تَبِعَهُ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

وَبَعْدُ:

إِنَّ الِاتِّصَافَ بِالحَيَاءِ مِنَ المَطَالِبِ العَالِيَةِ، وَالمَقَاصِدِ السَّامِيَةِ، وَالمَوَاهِبِ الغَالِيَةِ؛ وَأَمنِيَةٌ عَظِيمَةٌ، وَغَايَةٌ كَرِيمَةٌ، لَا تَصْلُحُ الأَحْوَالُ إِلَّا بِهَا.

يَترَتَّبُ عَلَيْهِ »الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، وَالتَّوْفِيْقُ فِيْ الأَعْمَالِ، وَصَلَاحُ الْبَالِ، وَنَيْلُ الْمَطَالِبِ، وَتَحْقِيْقُ الْمَآرِبِ؛ وَفِي الآخِرَةِ أَجْرٌ عَظِيْمٌ، وَثَوَابٌ جَزِيْلٌ« . وَعَطَاءٌ جَسِيمٌ، وَخَيرٌ غَزِيرٌ، وَفَوْزٌ دَائِمٌ.

الحَيَاءُ جَوهَرَةٌ ثَمِينَةٌ، غَالِيَةُ القِيمَةِ، فَقَدَهُ السَّوَادُ الأَعظَمُ مِنَ النَّاسِ.

عَلَيْنَا أَنْ نَعْمَلَ جَاهِدِيْنَ عَلَى إِحْيَاءِ خُلُقِ الْحَيَاءِ، الْخُلُقِ الرَّفِيْعِ فِي أَنْفُسِنَا، وَفِي الآخَرِيْنَ؛ خَاصَّةً عِنْدَ النِّسَاءِ، فِي زَمَنٍ ضَاعَ فِيْهِ الْحَيَاءُ.

وَاللهُ المُستَعَانُ، وَعَلَيهِ التُّكلَانُ، وَإِلَيهِ الرَّغبَةُ؛ وَهُوَ المَسْؤُولُ بِأَنْ يُوَفِّقَنَا، وَسَائِرَ إِخوَانِنَا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ: لِتَحقِيقِهَا عِلمًا وَعَمَلًا، إِنَّهُ وَلِيٌّ ذَلِكَ وَالمَانُّ بِهِ، وَهُوَ حَسبُنَا وَنِعمَ الوَكِيلُ.

كاتب المقالة :
تاريخ النشر : 07/09/2012
من موقع : نور فاقوس - موقع المؤسسة الإسلامية الخيرية بفاقوس
رابط الموقع : http://norfaqous.com